

تفسير البحر المحيط

@ 346 @ يقتضيه التواضع والتذلل ؛ أو لأن المعنى أن عبادة عبد الله ليست بأمر مستعبد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبداً . ومعنى قام يدعوه : قام يعبده ، يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين أتاه الجن ، فاستمعوا لقراءته عليه السلام . { كَادُوا° يَكُونُونَ عِلَاقَةً لِّبَدَا° } : أي يزدحمون عليه متراكمين ، تعجباً مما رأوا من عبادته ، واقتداء أصحابه به قائماً وراكعاً وساجداً ، وإعجاباً بما تلا من القرآن ، لأنهم رأوا ما لم يروا مثله ، وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره . انتهى ، وهو قول متقدم كثره الزمخشري بخطابته . وقرأ الجمهور : { لِّبَدَا° } بكسر اللام وفتح الباء جمع لبدة ، نحو : كسرة وكسر ، وهي الجماعات شبهت بالشيء المتلبد بعضه فوق بعض ، ومنه قول عبد مناف بن ربيع : % (صافوا بستة أبيات وأربعة % . حتى كأن عليهم جانباً لبداً . %) .

وقال ابن عباس : أعواناً . وقرأ مجاهد وابن محيص وابن عامر : بخلاف عنه بضم اللام جمع لبدة ، كزبرة وزبر ؛ وعن ابن محيص أيضاً : تسكين الباء وضم اللام لبداً . وقرأ الحسن والجحدري وأبو حيوه وجماعة عن أبي عمرو : بضمين جمع لبدة ، كرهن ورهن ، أو جمع لبود ، كصبور وصبر . وقرأ الحسن والجحدري : بخلاف عنهما ، لبداً بضم اللام وشد الباء المفتوحة . قال الحسن وقتادة وابن زيد : لما قام الرسول للدعوة ، تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه ، فأبى الله إلا أن ينصره ويتم نوره . انتهى . وأبعد من قال عبد الله هنا نوح عليه السلام ، كاد قومه يقتلونه حتى استنقذه الله منهم ، قاله الحسن . وأبعد منه قول من قال إنه عبد الله بن سلام . وقرأ الجمهور : قال إنما أدعوا ربي : أي أعبدته ، أي قال للمتظاهرين عليه : { إِنْ نَّهَلْنَا * ادْعُوا° * رَبِّي } : أي لم آتكم بأمر ينكر ، إنما أعبد ربي وحده ، وليس ذلك مما يوجب إطباقكم على عداوتي . أو قال للجن عند ازدحامهم متعجبين : ليس ما ترون من عبادة الله بأمر يتعجب منه ، إنما يتعجب ممن يعبد غيره . أو قال الجن لقومهم : ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، وهذا كله مرتب على الخلاف في عود الضمير في { كَادُوا° } . وقرأ عاصم وحزمة وأبو عمرو بخلاف عنه : { قُلْ° } : أي قل يا محمد لهؤلاء المزدحمين عليك ، وهم إما الجن وإما المشركون ، على اختلاف القولين في ضمير { كَادُوا° } . .

ثم أمره تعالى أن يقول لهم ما يدل على تبرئه من القدرة على إيصال خير أو شر إليهم ،
وجعل الضر مقابلاً للرشد تعبيراً به عن الغي ، إذ الغي ثمرته الضرر ، يمكن أن يكون
المعنى : ضراً ولا نفعاً ولا غياً ولا رشداً ، فحذف من كل ما يدل عليه مقابله . قرأ الأعرج :
رشداً بضمـتـين . ولما تبرأ عليه السلام من قدرته على نفعهم وضرهم ، أمر بأن يخبرهم بأنه
مربوب ﷻ تعالى ، يفعل فيه ربه ما يريد ، وأنه لا يمكن أن يجبره منه أحد ، ولا يجد من
دونه ملجأ يركن إليه ، قال قريباً منه قتادة . وقال السدي : حزراً . وقال الكلبي :
مدخلاً في الأرض ، وقيل : ناصراً ، وقيل : مذهباً ومسلكاً ، ومنه قول الشاعر : % (يا
لهف نفسي ونفسي غير مجدية % .
عني وما من قضاء اﻻ ملتحد .

. %)

وقيل : في الكلام حذف وهو : قالوا له أترك ما ندعو إليه ونحن نجيرك ، ف قيل له : قل
لن يجيرني . وقيل : هو جواب لقول وردان سيد الجن ، وقد ازدحموا عليه ، قال وردان : أنا
أرحلهم عنك ، فقال : إني لن يجيرني أحد ، ذكره الماوردي . { إِلَّاَّ بَلَاغاً } ، قال
الحسن : هو استثناء منقطع ، أي لن يجيرني أحد ، لكن إن بلغت رحمتي بذلك . والإجارة
للبلاغ مستعارة ، إذ هو سبب إجارة اﻻ تعالى ورحمته . وقيل على هذا المعنى : هو استثناء
متصل ، أي لن يجيرني في أحد ، لكن لم أجد شيئاً أميل إليه وأعتصم به إلا أن أبلغ وأطيع
فيجيزني اﻻ ، فيجوز نصبه على الاستثناء من ملتحداً وعلى